(١٧)

الأمة الإسلامية: حقيقة لا وهم[١]

الخطبة الأولي:

أما بعد: فيا أيها الإخوة المسلمون:

يسعي الإسلام في أحكامه وشرائعه وتوجيهاته إلي تكوين الإنسان الصالح، وتكوين الأمة الصالحة، وحديثنا اليوم عن الأمة التي يكونها الإسلام.

الإسلام لا يكتفي بأن ينشيء فردا صالحا في نفسه، داعيا لغيره، ولكنه يسعي إلي أن تكون هناك أمة تحمل رسالته إلي العالمين، تشيع رحمة الله العامة في الناس جميعا، يعيش الفرد المسلم في ظلالها ملتزما بالإسلام عقيدة وعبادة ومنهاجا للحياة. الأمة التي يريدها الإسلام أمة واحدة، فالإسلام يسعي إلي توحيد المعبود، وتوحيد العابدين، يقول الله تعالي: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران ١١٠].

أمة واحدة ذات شعوب متعددة، كذلك قال الله تعالي: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [الحجرات: ١٣]، لهذا لا يحسن أن نقول: الأمم الإسلامية ولكن نقول الأمة الإسلامية، والشعوب الإسلامية.

---

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، في يوم الجمعة ٧ من شعبان سنة ١٤٢٤هـ - الموافق ٣ من أكتوبر سنة ٢٠٠٣م.

الأمة إسلامية حقيقة لا وهم:

هناك أناس يمارون في هذه الحقيقة ويقولون: لا توجد أمة إسلامية، ولكن توجد أمة عربية، وأمة تركية، وأمة كردية، وأمة إيرانية، وأمة ماليزية. وأمة هندية، إلي آخر هذه الأمم. ونحن نقول: إن الأمة الإسلامية حقيقة وليست وهما.

أمة بمنطق الدين:

هي حقيقة دينية، فإن الله سبحانه وتعالي سمّي المسلمين حيثما كانوا – عربا كانوا أم عجما، بيضا كانوا أو سودا، في مشرق أو مغرب – سماهم أمة، أمة وسطا، خير أمة أخرجت للناس، هذه الأمة صنعها الله، الله هو الذي جعلها، ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً** ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أمة أخرجت للناس، أخرجها مخرج، الله الذي أخرجها لتهدي الناس، وتنفع الناس، وتخرج الناس من الظلمات إلي النور، الله سماها أمة، هذه الأمة أمة بمنطق الدين.(١)

دعوة الدين المسلمين للوحدة:

فالدين هو الذي جعلها أمة، وأمرها بالوحدة، ونهاها عن التفرق والتنازع، ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، لا تكونوا من المشركين ﴿ **مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [الروم: ٣٢]، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

عوامل تقوية الوحدة بين المسلمين:

المسلمون ينبغي أن يكونوا أمة واحدة، هكذا أراد الله لهم، ولم لا تكون

---

(١) لمزيد من التفصيل حول: حقيقية وجود الأمة الإسلامية، انظر: (الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم) للدكتور القرضاوي. نشر مكتبة وهبة بالقاهرة.

الأمة أمة واحدة وربها واحد؟! ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿ **وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ** ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، كأنما يشير إلي أنه لا تتم العبادة، ولا تكمل التقوي إلا بالتوحد، فربها واحد، ورسولها واحد، رسولها محمد صلي الله عليه وسلم، كلها تعلن هاتين الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، تسمعها كل يوم في أذانها خمس مرات، وفي إقامتها للصلوات، وفي تشهدها: التحيات لله، والصلوات والطيبات: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد عبده ورسوله. رسولها محمد يجسد الكمال الإنساني الذي جعله الله أسوة ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

عامل المرجعية الربانية الواحدة:

كتابها واحد، القرآن الكريم، يجمعها جميعا كتاب الله، لا يختلف في ذلك اثنان، السنة والشيعة، كلها تقول: ما بين الدفتين كلام الله، من سورة الفاتحة إلي سورة الناس، لا خلاف بين مسلم ومسلم أن هذا كله كلام الله الذي ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت: ٤٢]، إذا كان هناك بعض الشيعة يقولون: هناك زيادات، فهذا يرده المحققون منهم،(١) ويكفي أن المصحف الذي يطبع في قطر، ويطبع في السعودية، ويطبع في مصر، ويطبع في باكستان، هو نفسه الذي يطبع في إيران، هذا المصحف مرجع المسلمين جميعا، كتابهم واحد.

كل الكتب حرّفت وبدّلت وغيّرت تغييرا لفظيا، وتغييرا معنويا، إلا القرآن، ولا يمكن أن يضيع هذا القرآن، أو يحرف أو يبدل، وهناك الألوف، وعشرات الألوف، ومئات الألوف يحفظون القرآن، يحفظونه في صدورهم لا يخرمون منه حرفا، ولا يسقطون منه كلمة، حتي رأينا عجبا، رأينا الأعاجم

---

(١) ناقش أستاذنا الشيخ القرضاوي هذه المقولة، نقاشا مستفيضا، أتي فيها بنقول معتبرة عند أئمة الشيعة وفقهائهم، ترد هذا الكلام، انظر كلامه في: (مباديء في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية) ضمن مجموعة رسائل ترشيد الصحوة. طبعة مكتبة وهبة بالقاهرة.

الذين لا يفهمون كلمة من العربية يحفظون هذا القرآن، كأن أحدهم شريط مسجل لا يسقط منه كلمة واحدة، ولو سألته: ما اسمك؟ لا يستطيع أن يجيبك، لأنه لا يعرف معني سؤالك باللغة العربية.

الله حفظ هذا القرآن، فهذه الأمة ربها واحد، ونبيها واحد، وكتابها واحد وقبلتها واحدة، كلها تتجة كل يوم خمس مرات إلي البيت الحرام ﴿ **وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** ﴾ [البقرة: ١٥٠]، بعض الغربيين تخّيل أن يرسم للمسلمين صورة حول الكعبة المشرفة، فقال: لو اطلع واحد من فوق، ونظر إلي المسلمين في أنحاء العالم، وجدهم دوائر دوائر، حول الكعبة تتسع الدائرة ثم تتسع كلما بعدت عن البيت العتيق حتي تشمل العالم كله، نعم المسلمون في كل مكان دوائر حول الكعبة، الكعبة تجمعهم، ولا غرو أن سمي المسلمون أهل القبلة، فقبلتهم واحدة.

عامل وحدة الشريعة:

المسلمون أيضا شريعتهم واحدة، الشريعة التي يحتكمون إليها كلهم شريعة واحدة، إذا سأل المسلم عن الحلال والحرام، عما يجوز وما لا يجوز، يرجع إلي الشريعة، وإلي أحكام الشريعة، وإلي علماء الشريعة ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل: ٤٣].

عامل وحدة الشعائر العبادية:

الشعائر العباديج للمسلمين واحدة: الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج، كلها واحدة، إذا أذن المؤذن في أي بلد من البلاد، حي علي الصلاة، حي علي الفلاح، سارع المسلم – كان في اسيا في أفريقيا في أوروبا في أمريكا في استراليا – بالاستجابة لنداء الله، ووقف الناس في المساجد صفوفا صفوفا، زالت بينهم الفوارق، كان الشيخ عبد المعز عبد الستار – حفظه الله – يسمي المساجد: مصانع التوحيد، تصنع التوحيد بين المسلمين، يدخلها الناس أجناسا وألوانا وطبقات، فتصهرهم المساجد ويخرجون منها إخوة متحابين.

انظروا لهذا المسجد[1]، يوجد فيه الكبير والصغير، والغني والفقير، وأستاذ الجامعة والفراش في الجامعة – والوزير والموزور، والأمير والمأمور، هل يفرق بينهم في شيء؟ من سبق إلي مكان فهو أحق به، لا يوجد في المساجد: أن الصف الأول للوزراء، والصف الثاني لوكلاء الوزارات، والصف الثالث لمديري العموم، والصف الرابع لموظفي الدرجة الأولي.. لا، لا توجد هذه التفرقة، هذه المساجد مصانع التوحيد، تصهر المسلمين في بوتقة واحدة، توحد مشاعرهم، وتوحد مسالكهم، وتقفهم جميعا بين يدي الله خاشعين، لا فضل لأبيض علي أسود، ولا لعربي علي عجمي، ولا لغني علي فقير، ولا لمتعلم علي أمّيّ، لا فضل لأحد علي أحد إلا بالتقوي، والتقوي حينما يتفاضلون فيها عند الله، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، الصلاة توحد بين المسلمين.

كل الشعائر تغرس في نفس المسلم هذا المعني، والصيام، حينما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، يمسك المسلمون عن الطعام والشراب والنساء، يجوع أحدهم لله، ويظمأ لله، «يدع طعامه من أجلي، ويدع شرابه من أجلي، ويدع زوجته وشهوته من أجلي»[2]، كل المسلمين في أنحاء الأرض عندما تأتي لحظة الفجر يمسكون عن الطعام، فإذا غربت الشمس وأذن المؤذن: أفطروا جميعا، وحل لهم ما كان محرما عليهم، إنها شعائر واحدة.

الحج من أكثر المظاهر وحدة للأمة:

الحج، يظهر فيه هذا التوحيد أكثر فأكثر، فالناس كثيرا ما يتفرقون بالمظاهر والأزياء والملابس، وبعض البلاد لها أزياء خاصة، وبعض الفئات لها أزياء خاصة، المشايخ لهم زي، والصناع لهم زي..حينما يذهبون إلي الحج يخلعون أزياءهم التي تميز بينهم، ويلبسون ثيابا في غاية السهولة والبساطة والتواضع، أشبه ما تكون

---

(١) راجع ما ذكره فضيلة الشيخ في كتابه: «العبادة في الإسلام» تحت عنوان: (المسجد ورسالته في الحياة) ص٢٣٦ ولفضيلته كذلك خطبة في الجزء الثالث بعنوان: (رسالة المسجد في الإسلام).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بأكفان الموتي، يلبسها الملك، ويلبسها الحفير، يلبسها أغني الناس، وأفقر الناس، كلهم في رداء واحد، وشعور واحد، ونداء واحد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

عامل وحدة الآداب الإسلامية:

المسلمون شريعتهم واحدة وشعائرهم واحدة، وآدابهم واحدة، حيثما لقيت المسلم تقول له: السلام عليكم، فيرد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، إذا أكل المسلم فهو يأكل باليمين، يبدأ طعامه: باسم الله، ويختمه: بالحمد لله، لا يأكل الميتة ولا الدم ولا لحم الخنزير، آداب مشتركة، حتي إذا عطس، قال: الحمد لله، وهنا تقول له: يرحمك الله، ويرد عليك: يهديكم الله ويصلح بالكم.(١)

وحدة المنهج والغاية:

آداب واحدة، منهج واحد، غاية واحدة، الغاية هي الله، ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] والمنهج واحد هو ما شرعه الإسلام من أحكام وقيم وآداب في العبادات والمعاملات والسلوكيات، ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣]، هذه هي الأمة الإسلامية.

أمة واحدة بمنطق التاريخ والجغرافيا:

الأمة الإسلامية أمة بمنطق الدين، وهي أمة واحدة كذلك بمنطق التاريخ، ظلت أمة واحدة أكثر من ثلاثة عشر قرنا، مرجعيتها واحدة هي الشريعة، وطنها واحد هو دار الإسلام، قائدها واحد هو خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، ظل هذا مرعيا إلي سنة ١٩٢٤م حينما ألغي الخلافة الإسلامية - التي تجمع المسلمين تحت

---

(١) رواه عن أبي هريرة: أحمد (٢/٣٥٣) والبخاري (٦٢٢٤) والترمذي (٢٧٣٩) وأبو داود (٥٠٣٣). ورواه عن علي بن أبي طالب: أحمد (١/١٢٠) وابن ماجة (٣٧١٥). ورواه عن أبي موسي الأشعري: أحمد (٤/٤٠٠).

راية العقيدة – الطاغية كمال أتاتورك، منطق التاريخ يقول: المسلمون كانوا أمة واحدة.

ومنطق الجغرافيا يؤكد هذه الحقيقة، انظر إلي الخريطة تجد العالم الإسلامي جغرافيا متصلا بعضه ببعض، رقعة متواصلة، لأن الإسلام كان يمتد امتدادا طبيعيا من بلد إلي بلد يزحف كما يزحف النور، فهي أمة بمنطق الجغرافيا.

أمة واحدة بمنطق المصير المشترك:

بمنطق المصلحة المشتركة، والمصير المشترك، هي أمة واحدة، المصلحة المشتركة تحتم عليها أن تكون أمة واحدة، وخصوصا: أن أعداءها ينظرون إليها باعتبارها أمة واحدة، الآن الحرب التي تشن علي المسلمين، تشن علي المسلمين جميعا، لا فرق بين سني وشيعي، هم ينظرون إلي إيران كما ينظرون إلي السعودية، هم يريدون تغيير المنطقة كلها، تغيير المنظومة القيمية في المنطقة بحيث نفكر كما يفكر الأمريكان، ونشعر كما يشعر الأمريكان، ونسلك كما يسلك الأمريكان، ولايوجد من يخالف الثقافة الأمريكية، والسياسة الأمريكية، والسلوك الأمريكي، لا يريدون أن يؤمنوا بظاهرة التنوع، وظاهرة التنوع ظاهرة كونية، اختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا**﴾ يعني متنوعة ﴿**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ**﴾ [فاطر: ٢٧ – ٢٨]

اختلاف الأنواع، فالتنوع ظاهرة كونية، هؤلاء يريدون أن يقاوموا سنن الله في الحياة، وفي الكون، وفي الإنسان، يريدون أن يصهروا الناس جميعاً ليكونوا أمريكيين، أمريكيين في الفكر، وأمريكيين في الثقافة، وأمريكيين في الاتجاه وفي السلوك، والله خلق الناس مختلفين ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ [هود: ١١٨ – ١١٩]، قال المفسرون: (لذلك) أي: للاختلاف خلقهم، لأنه خلقهم متغايرين في الفكر، ومتغايرين في الإرادة، فلابد أن تختلف اتجاهاتهم، لو شاء الله لجعلهم

نسخة واحدة مثل الملائكة إنما أعطاهم الله حرية الاختيار، وحرية العقل والتفكير، فلابد أن يختلفوا.

هؤلاء لا يؤمنون باختلاف الناس، يريدون أن يطبعوا الناس بطابع واحد، المسلمون حينما كانوا أقوي أمة في الأرض، حينما كان يقول الخليفة[1] للسحابة: شرقي أو غربي، وأمطري حيث شئت، فسيأتيني خراجك. لم يفرضوا علي الناس أن يكونوا نوعا واحدا، لم يفرضوا عليهم دينهم، ولم يفرضوا عليهم ثقافتهم وفلسفتهم، إلا إذا قبلها الناس من أنفسهم، وشاركت في بناء الحضارة الإسلامية ثقافات وأجناس شتي من الأمم، شاركت في هذه الحضارة وبقوا علي دينهم، وعلي فلسفاتهم، وعلي مذاهبهم، وعلي ثقافاتهم المختلفة، هؤلاء لا يقبلون ذلك، يريدون أن يسير الناس كلهم قطيعا واحدا وراء هذا الراعي الذي يمسك بعصاه، ولا يسمح لأحد أن يخرج عن هذا القطيع!

الأمة مصيرها واحد، هكذا تقول الأحداث، وهكذا يقول الأعداء أنفسهم، الدولة الصهيونية تنظر إلي إيران، وإلي باكستان، وإلي أفغانستان، وإلي إندونيسيا، كما تنظر إلي بلاد العرب بجوارها، وتري أن قوة المسلمين في أي بلد خطر عليها. وهكذا رأينا نظرة الأمريكان إلي الجميع.

أمة واحدة بمنطق الآلام والآمال والمصالح المشتركة:

المسلمون أمة واحدة، بمنطق أعدائنا، بمنطق المصير المشترك للجميع، وهي أمة بمنطق الآلام المشتركة، والآمال المشتركة، والمصالح المشتركة، كل هذا يحتم علي المسلمين أن يتحد بعضهم مع بعض، وأن يتلاحم بعضهم مع بعض، وأن يتكتل بعضهم مع بعض، العالم في عصرنا يتكلم بلغة التكتل، لا مكان في عالمنا المعاصر للكيانات الصغيرة، الكيانات الصغيرة لا تستطيع أن تعيش، إلا إذا اعتمدت علي غيرها، وإنما تعيش فيه الكتل الكبيرة، ولذلك نري الناس يتناسون خلافاتهم ويتجمعون.

---

(١) القائل: هارون الرشيد الخليفة العباسي.

للأسف نري العالم كله يتقارب والمسلمين وحدهم يتباعدون، الكاثوليك والبروتستانت الذين جرت بينهم حروب رهيبة، ومجازر سقط فيها مئات الألوف، وربما ملايين من الناس علي توالي العصور، أرادوا أن يتقاربوا وينسوا هذا التاريخ[1].

حتي اليهود والنصاري، كان اليهود أعداء النصاري طوال التاريخ، واليهود كانوا متهمين بأنهم شاركوا بل قاموا بالدور الأول والأكبر في تقديم المسيح للقتل والصلب يقينا، أو في قتل المسيح وصلب المسيح كما يعتقد النصاري، ولكنهم منذ عدة سنين أصدر الفاتيكان وثيقة لتبرئة اليهود من دم المسيح، يتقربون إلي اليهود! الناس يتقاربون دينيا، ويتقاربون أيديولوجيا.

رأينا في أيام الصراع بين السوفيت والمعسكر الغربي ما يسمونه التعايش السلمي، تقارب بعضهم مع بعض، المصلحة اقتضت هذا.

الآن أوروبا كوّنت من بين دولها اتحادا، رغم ما كان بينها من صراعات. من يقرأ تاريخ أوروبا في القرون الأخيرة يجد حروبا دموية، قتل فيها من قتل، وسفكت فيها دماء، وأزهقت أرواح، وخربت ديار، بدوافع دينية أحيانا، ودوافع قومية أحيانا، ودوافع مصلحية وسياسية أحيانا، وآخر هذا الصراع: الحربان العالميتان في النصف الأول من القرن العشرين؛ اللتان قتل فيهما ملايين بل عشرات الملايين، ثم رأت أوروبا: أن من المصلحة لجميع دولها: أن تتكتل ويتضام بعضها إلي بعض، وتتلاحم في صورة اتحاد قوي صار له وزنه وشأنه، وأن ينسوا المآسي الماضية، والخلافات السابقة، هكذا رأي القوم، هذا هو شأن العقلاء.

مؤامرات الأعداء لغرس داء الفُرْقة بين المسلمين:

أما نحن المسلمين، فنحن وحدنا الذين نجتر الخلافات الماضية، ونحاول دائما أن نشعل النار، وأن نصب الزيت علي النار، وأعداؤنا يستغلون نقطة الضعف هذه، فيثيرون بيننا دائما ما يفرق الجمع، وما يبعث الفتن بين بعضنا وبعض.

---

(١) راجع ما ذكره العلامة: رحمة الله الهندي، في كتابه إظهار الحق (ح٢/ ٥٠٩) وما بعدها طبعة إحياء التراث الإسلامي في قطر.

في بعض البلاد يثيرون الخلافات الدينية، مثل: مصر، يقولون: مسلمون وأقباط. وأحيانا يثيرون خلافات جغرافية، مثل: السودان، يقولون: الشمال والجنوب. وأحيانا خلافات عرقية كما في الجزائر، والمغرب: عرب وبربر، أو عرب وأكراد في العراق. وأحيانا يثيرون خلافات مذهبية سنية وشيعية، وأحيانا خلافات إيديولوجية، مثل: ثوريين ورجعيين، أو يمينيين ويساريين.. الخ. لابد أن يثيروا ما يفرق بين الأمة بعضها وبعض، وكل تفرقة هي لصالحهم، وليست في صالحنا، هم يفرقون ليسودوا، ويمزقون ليأكلوا، (فرّق تسد)، شعار معروف عندهم من قديم، لا تستطيع أن تأكل الرغيف لقمة واحدة، إنما تقطع الرغيف لقما لتزدرده وتبتلعه بسهولة، هكذا يفعلون بنا، ونحن نستجيب.

الأمة الإسلامية ينبغي أن تعرف هذا الأمر، وتعرف لغة العالم اليوم، لو لم يوجب عليها دينها أن تعتصم بحبل الله جميعا ولا تتفرق، وألا تتنازع فتفشل، وتذهب ريحها، كما قال القرآن الكريم: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال: ٤٦] وكما قال النبي ﷺ: «لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»[1]، لو لم يوجب الدين ذلك لأوجبته المصالح المشتركة، والمصير المشترك، ولأوجبه منطق العصر.

تلاحم الأمة فريضة وضرورة:

إن تلاحم الأمة فيما بينها فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، نقول هذا للعرب وللمسلمين في كل مكان، دعوا الأمور التي تفرق بينكم، واذكروا ما يجمعكم دائما، اذكروا الجوامع المشتركة، القواسم المشتركة بينكم وهي كثيرة، خصوصا أننا في محنة، الناس إذا كانوا في عافية وفي رخاء وفي أيام انتصارات ربما جاز لهم أن يختلفوا، وإن كان هذا ليس مطلوبا، ولا مقبولا في أي عصر، أما الذين يعيشون في الشدائد والمحن الكبري، والمصائب المتلاحقة، وتصوب إليهم السهام من كل جانب، هؤلاء لا يجوز لهم أبدا أن يتفرقوا، لابد أن يقف بعضهم بجوار بعض، عندما تقوم المعركة يجب أن

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠) عن عبد الله بن مسعود.

نسقط الخلافات الجانبية، وننسي المعارك الجزئية، ولا يبقي إلا صوت المعركة عاليا، كما قال الله تعالي: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ [الصف: ٤].

نداء لعقلاء السنة والشيعة:

إن هناك فتنا تريد أن تمزق هذه الأمة، هناك في العراق الآن يريدون أن يثيروا فتنة بين السنة والشيعة، ونحن نحذر المسلمين جميعا – سنة كانوا أم شيعة: أن يستجيبوا لوساوس الشياطين، شياطين الإنس وشياطين الجن، يجب أن يعلوا علي هذه الوسوسات التي تدمر الجميع، فالفرقة دمار علي الجميع، هم يريدونها حربا دينية، لم يكتفوا بالحرب التي وقعت بين إيران والعراق وظلت سنين طويلة، ولكن كان طابع هذه الحرب قوميا، كأنها حرب بين العرب والفرس، ولكن الآن يريدونها حربا دينية صريحة، سنة وشيعة، يجب أن يقاتل بعضهم بعضا، ويجب أيها الإخوة: أن نحبط مكرهم، ونفوت عليهم الفرصة.

أنادي العقلاء: ألا يستجيبوا للمهاويس والمجانين من هؤلاء أو هؤلاء، ويشعلوا النار، ويتيحوا الفرصة لأعداء الأمة، يجب أن يقف العراق صفا واحدا ليحرر أرضه، ويعيش مستقلا، ويطرد الاحتلال، هذا ما يجب علي الأمة جميعا، ويجب علينا أن نساندهم فيه.

محاولة ضرب الفلسطينيين بعضهم ببعض:

هناك محاولة لضرب الفلسطينيين بعضهم ببعض، السلطة في ناحية، والمقاومة في ناحية أخري، وقد نصبوا لهم فخًا – شركا مكيدة – هي ما سموه: خارطة الطريق، واشترطوا فيها: تصفية المقاومة، وجمع السلاح، وهو شرط عجيب جدا، معناه: أن يقاتل الفلسطينيون بعضهم بعضا، بدل أن يقاتل الفلسطيني المحتل الذي يحتل أرضه، ويدمر بيته، ويقتل أباه وأخاه وابنه وزجته، بدل أن تتجه الرصاصات إلي صدر العدو المحتل تتجه إلي صدر أخيه!

وهذا ما نحذر منه الفلسطينيين، وهم إلي الآن أدركوا المكيدة، ووقفوا لها،

ويجب أن يظلوا علي هذه الحكمة، وعلي هذه اليقظة، ولا يسمحوا لأنفسهم يوما أن يضرب بعضهم بعضا، النبي عليه الصلاة والسلام قال في حجة الوداع: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[1]، هذا شأن الكفار شأن أهل الجاهلية، كانوا يضربون بعضهم رقاب بعض ووجوه بعض، أما المسلم فهو أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يخذله، ولا يتخلي عنه، بل يفديه بنفسه، يعرض صدره للرصاص ليحمي أخاه، ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ١٠].

لماذا يجب أن نتوحد؟

المسلمون أمة هكذا أراد الله لهم، أمة وسطا، خير أمة أخرجت للناس، أمة واحدة، وحّدت بينها الغايات، والمناهج، والعقائد والشرائع والقيم، والعبادات والمعاملات والآداب، وحدت بينها المصالح والمصاير، والآلام والآمال، وحدها الأعداء، فهم ينظرون إليها باعتبارها أمة واحدة، من الدار البيضاء إلي جاكرتا، إسرائيل تكيد كيدها لباكستان، لماذا؟ لأنها أصبحت تملك مفاعلا نوويا كما تملك هي، ولكن لا يجوز للمسلمين أن يملكوا مفاعلا نوويا، أو قنبلة نووية، إسرائيل تعامل باكستان كما تعامل البلاد العربية، هم ينظرون إلي هذه الأمة واحدة، فينبغي أيها الإخوة أن يضع كل منا يده في يد أخيه، وألا نسمح لمن يفرق بيننا، قد نختلف في أشياء كثيرة، ولكن نتعاون فيما اتفقنا عليه ونتسامح فيما اختلفنا فيه ونقف في المعركة صفا واحدا، وإلاّ كان هناك خطر كبير: أن يجتمع أعداؤنا، ونتفرق نحن، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالي: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ [الأنفال: ٧٣][2].

---

(١) رواه البخاري في العلم (١٢١) عن جرير بن عبد الله. ورواه البخاري في مواضع أخري كثيرة، وعن أكثر من صحابي.

(٢) انظر في تفصيل ذلك: (الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم) للدكتور القرضاوي نشر دار الشروق. و(كيف نتعامل مع التراث والتمذهب والاختلاف؟) للدكتور القرضاوي. نشر مكتبة وهبة بالقاهرة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

انتفاضة الأقصي في سنتها الرابعة:

أما بعد: فيا أيها الإخوة المسلمون: دخلت الانتفاضة – انتقاضة الأقصي المباركة – في سنتها الرابعة، كان السفاح شارون قد أخذ علي نفسه وعلي حكومته عهدا: أن يقضي علي هذه الانتفاضة، ويقضي علي المقاومة المؤمنة الباسلة في حدود ١٠٠ يوم، ومضت مائة ومائة ومائة ومئات ومئات، ولكن الانتفاضة لم تنته، الانتفاضة بقيت شامخة، بقيت صامدة، بقيت كالجبل الأشم، بقيت تزأر كما يزأر الأسد الهصور، بقيت تقول لهؤلاء الطغاة الظالمين: نحن هنا، لن نستسلم، لن نركع لكم، لن نهن، ولن نستكين أبدا، إنما نركع لله ونسجد لله، علمنا الله تعالي: أن نرفع جباهنا فلا نسجد إلا له في الصلاة، ولا تركع الظهور ولا تنحني إلا له.

بقيت هذه الانتفاضة يقودها الأبطال، تبذل كل يوم من الأرواح ومن الدماء، ما يجعلنا نقول لهذا الشعب البطل: مرحي مرحي، هذا الشعب الذي لا يملك الصواريخ ولا الدبابات ولا المروحيات كما تملكها إسرائيل، إنما يملك رجالا مؤمنين، يملك شبابا باعوا أنفسهم لله، وضعوا رؤوسهم علي أكفهم، وأرواحهم بأيديهم وقدموها رخيصة في سبيل الله ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

هؤلاء الشباب المؤمنون الذين لا يبالون أوقعوا علي الموت أم وقع الموت عليهم، هم الذين دوّخوا الصهاينة، دوّخوا هذا الكيان المغتصب الظالم المغرور بقوته وبسلطانه وبترسانته النووية والكيماوية وغيرها، هؤلاء الشباب يجب أن نحييهم، يجب أن نحيي هؤلاء الأبطال، يجب أن نحيي هذا الشيخ القعيد الأشلّ المريض الشيخ أحمد ياسين، الذي زلزل أركان الظالمين، يجب أن نحييه

ونحيي إخوانه الذين قتلوا منهم من قتلوا: ﴿ **فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

حاولوا أن يقتلوا الشيخ، وحاولوا أن يقتلوا الدكتور الرنتيسي[١]، والدكتور الزهار، كما حاولوا من قبل أن يقتلوا خالد مشعل، وقتلوا إسماعيل أبو شنب، وقتلوا الكثيرين، كما قتلوا يحيي عياش، وفتحي الشقاقي والكثيرين من أبناء حماس، ومن أبناء الجهاد الإسلامي، ومن كتائب الأقصي، نحيي هؤلاء، نحييهم ونقف من ورائهم، وإن كنا لا نستطيع – للأسف – أن نصل إليهم لنشد أزرهم، ونشارك معهم، فالأبواب مغلقة، والطرق مسدودة، لا يستطيع مسلم يغلي صدره كما يغلي المرجل فوق النار من الحماس والاشتياق إلي الجهاد والشهادة، ولا يستطيع أن يصل إلي إخوته هؤلاء، هكذا نعيش في هذا الوقت.

لكننا نملك أن نبعث إليهم بما نستطيع من أموال، وإن كان الآن سدوا الطريق علي الأعمال الخيرية، لا يسمحون بتحويل أي أموال إلي هؤلاء، كأنما يريدون أن يموت هذا الشعب جوعا، الأموال التي تذهب لتطعم الجائع، وتكسو العريان، وتداوي المريض، وتؤوي المشرد، وتكفل اليتيم، وترمم المهدوم، وتعالج المحروق، هذه الأموال ممنوع أن تصل إلي هؤلاء، حتي إن بعض البلاد العربية جمد أموال حماس في بنوكها وفي مصارفها، يا للعار ويا للشنار.

صراع صهيوني فلسطيني!:

علينا أن نعمل ما نستطيع لمعونة إخواننا هؤلاء، بخاصة أن الأنظمة الحاكمة قلما تصنع شيئا، قلت لكم في الأسبوع الماضي: إن الصراع الآن لم يعد صراعا عربيا إسرائيليا كما يقال في الصحف وأجهزة الإعلام، فالعرب لم يعودوا يقدمون شيئاً، قدموا سنة ٤٨ ودخلت الجيوش العربية إلي فلسطين، أما الآن فهو صراع صهيوني فلسطيني، إسرائيل ومعها يهود العالم، ومعها أمريكا بقوتها

---

(١) للأسف نجح الإسرائيليون في اغتيال الشيخ أحمد ياسين، والدكتور الرنتيسي، تقبلهما الله في الشهداء والصالحين، وقد رثي الشيخ القرضاوي الشيخ أحمد ياسين في خطبة كاملة في الجزء السادس، فلتراجع.

العسكرية، وقوتها الاقتصادية، وقوتها العلمية والتكنولوجية، وقوتها السياسية، الفلسطينيون شبه العزل من السلاح يقفون وحدهم أمام هذا كله.

ونحن نعتقد: أنهم منصورون، وهم منصورون إن شاء الله، الله تعالي يقول: ﴿ **إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [الصافات: ١٧٢- ١٧٣] ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [الحج: ٣٨]، نحن نعتقد: أنهم منصورون، وإن هذا الكيان الدخيل الذي زرع في جسم هذه الأمة هو كيان غريب، ودائما الأجسام الغريبة التي تدخل الأجسام لا تستطيع أن تعيش فيها، تطردها قواها الحيوية الداخلية، سنة الله أن أي جسم غريب لابد أن يطارد، وهذا الجسم لن يستمر طويلا ما دام إخوتنا الأبطال في (الجهاد الإسلامي)، وفي (حماس) المجاهدة المرابطة الصامدة، وفي كتائب الأقصي، وفي كل فصائل المقاومة التي ترفض الاستسلام، وترفض الذل والهوان، وتصر علي البقاء عزيزة كريمة، فإما حياة الأعزا السعداء، وإما موت الشهداء، ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَي الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٢].

سيروا إلي الأمام أيها الإخوة، يا أبناء الأقصي، يا أبناء الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، أرض النبوات والمقدسات، اصبروا، وصابروا، ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون، نحن معكم بقلوبنا وألسنتنا، ندعو لكم آناء الليل وآناء النهار، ندعو لكم في صلواتنا، وفي خلواتنا، وفي ساعات السَّحَر، ونستعين علي الأعداء بسهام القدر، ودعاء السَّحَر، وكل أشعث أغبر لو أقسم علي الله لأبره.

* * *

(١٨)

بواعث التوبة[١]

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

النفس الإنسانية أساس الإصلاح:

لازال حديثنا موصولا حول تزكية الأنفس، فالنفس الإنسانية هي أساس الإصلاح كله: إصلاح الأفراد، وإصلاح الأسر، وإصلاح المجتمعات، وإصلاح الأمم، وإصلاح العالم كله؛ إذا صلحت الأنفس صلحت الحياة. نقطة البداية تبدأ من الفرد إذا لم يصلح الفرد لم يصلح مجتمع، ولم تصلح حكومة، والفرد إنما يصلح بإصلاح جُوَانيته.

الإنسان لايقاد من أذنه كما تقاد البهيمة، وإنما يقاد من داخله، يقاد من عقله، ويقاد من ضميره، لهذا كان إصلاح النفس البشرية هو أساس كل إصلاح، وفق هذه السنة الإلهية التي قررها القرآن ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١]، وفق ما قاله النبي ﷺ: (ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[٢].

يقاد الإنسان من قلبه، من عقله، من ضميره، من نفسه، سمها ما تسميها.

---

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، ٩ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٤.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢) ومسلم في المساقاة (١٥٩٩) عن النعمان ابن بشير.

المهم هذا الكيان الداخلي الذي هو حقيقة الإنسان، حقيقة الإنسان ليست في هذا اللحم والدم، ليست في هذه العظام والخلايا والأجهزة، هذه توجد عند الحيوانات، وربما كان الحيوان أضخم جسما من الإنسان، وأوسع بطنا، وأكثر أكلا منه، ولكن الإنسان الحقيقي في هذا الكائن الروحي، الكائن المعنوي الذي به صار الإنسان إنسانا، وكرمه الله علي سائر المخلوقات، وجعله في الأرض خليفة، وحمّله الأمانة التي عرضت علي السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

لابد من جهاد لإصلاح النفس الإنسانية ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

لله سنة ثابتة في خلقه:

هذه سنة ماضية، من بذل جهده، واستفرغ وسعه، في مجاهدة نوازعه الشريرة، في مواجهة نفسه الأمارة بالسوء، في مواجهة شيطانه، في مواجهة أهوائه وشهواته، لابد أن يصل إلي الهداية الربانية، ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ وقد قال عليه الصلاة والسلام: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله)[1] الجهاد الحقيقي: أن تجاهد هواك، وأن لا تسترسل مع نزعات نفسك، وأنانية نفسك، وأهواء نفسك، فإن من اتبع هواه فقد ضل وغوي ﴿ **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ...** ﴾ [ص: ٢٦] ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** ﴾ [القصص: ٥٠]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الهوي شر إله عبد في الأرض» ثم تلا قول الله تعالي ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ** ﴾

---

(١) رواه أحمد (٢٣٩٥٨) عن فضالة بن عبيد، وقال مخرِّجو المسند: إسناده صحيح، ورواه ابن المبارك في الزهد (٨٢٦)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٧٩٦)، والبيهقي في الشعب (١١١٢٣).

غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾ [الجاثية: ٢٣]. لابد من مجاهدة النفس، ولابد أن يسلك الإنسان طريقه إلي الله، محطة محطة، ومرحلة مرحلة، حتي يصل إلي رضوان الله تبارك وتعالي ﴿ **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ** ﴾ [النجم: ٤٢].

التوبة أول المحطات:

وقد ذكرنا أيها الإخوة في الخطب الماضية: أن المحطة الأولي التي ينبغي أن ينطلق منها الإنسان هي: محطة التوبة، أن يغتسل الإنسان من ذنوبه، أن يتطهر من خطاياه، أن يقف مع نفسه وقفة صادقة، ليحاسبها علي ما اقترف من سيئات، وما فرّط فيه من حقوق لله وللنفس وللناس، ينبغي أن يقف هذه الوقفة ليصلح ما فسد، ويقوم ما اعوج، ويطهر ما خبث.

إن الله يغفر الذنوب جميعاً:

وليس هناك ذنب يستعصي علي التوبة، كل الذنوب قابلة للتوبة، حتي الكفر، حتي الشرك بالله، حتي الإلحاد والجحود بالله عز وجل، إذا تاب الإنسان منه تاب الله عليه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال: ٣٨]. حدثنا الله عن عباد الرحمن فكان من أوصافهم ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠]. حتي الشرك، حتي القتل، حتي الزني، من تاب منها وأصلح ما أفسده من قبل، وملأ صحيفته بالحسنات بعد السيئات، بعمل الصالحات بعد عمل السيئات، ﴿ **وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾.

﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: ٥٣].

علي الإنسان إذن أن يتوب إلي الله، أن يصطلح مع الله، أن يدع هذه الخصومة بينه وبين ربه، أن يقبل علي الله فيتلقاه الله من بعيد، أن يقول: يا رب. يارب. ليقول له ربه: لبيك عبدي وسعديك، الله تعالي يقول في الأثر القدسي الإلهي: (من أقبل من عبادي إليّ تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب) أقبل علي الله يتلقاك من بعيد، يرحب بك كما قال الله عز وجل في الحديث القدسي: (من تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته مهرولا)[1] أقبل علي الله تائبا منيبا، ابك علي خطيئتك، اغسل نفسك بدموعك إن كنت صادقا مع الله عز وجل.

حقيقة التوبة:

ليست التوبة بالكلام بأطراف اللسان، التوبة حُرقْة في القلب، أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، كما وصف الله التائبين في سورة التوبة ﴿**وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١١٨]. سئلت رابعة العدوية المرأة الزاهدة الصالحة، سألها أحد الناس: أإذا تبت تاب الله عليّ؟ قالت له: يا جاهل. بل إذا تاب الله عليك تبت، أما سمعت قوله تعالي: ﴿**ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١١٨]، إذا وفقك للتوبة فهذا دليل القبول، لأن التوبة لابد أن تقبل ما دامت صحيحة مستوفية لشروطها، لابد لنا أن نبحث البواعث علي التوبة، لابد أن نعرف مقام الله عز وجل.

أول بواعث التوبة: اعرف مقام ربك:

أول البواعث علي التوبة: أن تعرف مقام ربك وحق ربك عليك، وأنك لو عشت عمرك كله راكعا ساجدا ما أديت حقه عليك، لأن نعمه عليك أعظم

---

(١) رواة البخاري في التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٥) عن أبي هريرة.

من أن تحصر، وأكبر من أن تحصي، نعمه تغمرك من قرنك إلي قدمك، ومن ميلادك إلي ساعة وفاتك، بل حتي من قبل الميلاد، وأنت في بطن أمك، الله هو الذي يرعاك جنينا قبل أن يرعاك وليدا ورضيعا، الله عز وجل هو المنعم بجلائل النعم ودقائقها. ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٢] ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، حق الله عليك عظيم، كيف تقابل هذه النعم وتقابل مقام الألوهية بالنكران والكنود والكفران والفسوق والعصيان؟ تأكل ثمري وتعصي أمري! تأكل خيري وتطيع غيري؟ أنت تعيش في خير الله، في إحسان الله، في نعم الله، فلماذا لا تؤدي حق الله؟!

نعم الله لا تحصي:

لابد أن يقف الإنسان ليعرف حق ربه عليه، لو سجد علي الجمر ما أدي حق الله سبحانه وتعالي عليه، نعم ربك عليك كثيرة. انظر نعمة البصر، نعمة السمع، نعمة العقل، نعمة الجوارح، نعمة الصحة، نعمة العافية، نعمة المال، نعمة الأولاد، نعمة الهواء، نعمة الماء، نعمة الشمس والضياء، هذه النعم كلها لا يمكن أن تحسبها، ولذلك كان حق الله عليك عظيما، فماذا أديت من حق الله عليك؟ هذه وقفة!

الباعث الثاني: ذكر الموت والقبر:

مما يبعث علي التوبة أن تذكر أن حياتك مهما طالت قصيرة، وأن منتهاها الموت، وما دام الموت نهاية كل حي فإن العمر مهما طال قصير قصير. يقول الشاعر:

وإذا كان آخر العمر موتا فسواء قصيره والطويل

عندما ينتهي الأجل، عندما يحتضر الإنسان، ويأتيه ملك الموت، يتمني المرء لو أمهل في الأجل يوما، نصف يوم، ساعة، نصف ساعة، لحظات، يتمني أن يمد له في أجله ليفعل خيرا، فيقول: ﴿رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ

﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠ - ١١]. كم يتمني لو أنه أعطي فسحة ليصلي ركعتين خالصتين لوجه الله، أمامك عمر طويل الآن لماذا لا تصلي؟ لماذا لا تسبح الله وتكبره؟ لماذا لا تدعوه وتستغفره؟ لماذا لا تذكره كثيرا؟ لماذا لا تسبحه بكرة وأصيلا؟ لماذا لا تَرُد الحقوق إلي أهلها؟ لماذا تبقي بمظالمك؟

الإنسان ينسي أنه ميت، والله سبحانه وتعالي قال لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. كل الناس ذائقو الموت: الملوك والرؤساء، والحكام والمحكومون، والأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، الكل ميت. لماذا ينسي الناس الموت؟ لماذا يستبعدون الموت؟ قد رأينا في عصرنا: من يموت بالذبحة الصدرية، ومن يموت بالسكتة القلبية، ومن يموت في حادثة من حوادث السير، وما أكثرها. لماذا تستبعد الموت؟

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، هناك الساعة العامة، وهناك الساعة الخاصة، ساعة كل إنسان، ومن مات فقد قامت قيامته، وأنت لا تدري متي ساعتك كان ابن عمر رضي الله عنه يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لسقمك، وخذ من حياتك لموتك».

الموت. تذكر الموت. تذكر القبر. تذكر هذه الحفرة التي ستؤول إليها في النهاية، عش ما شئت فإنك ميت. وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واجمع ما شئت من مال، وابن ما شئت من قصور، ستودع هذا كله إلي هذه الحفرة.

القبر أفظع منظر:

كان عثمان رضي الله عنه إذا رأي القبر بكي بكاء مرا. فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي مثلما تبكي إذا رأيت القبر! فقال لهم: سمعت النبي ﷺ يقول: «القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإذا نجي منه كان أنجي فيما بعده»

ويقول أيضا: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه»[1] منظر القبر، انظر إلي هذا الإنسان الذي كان يمشي متبخترا فوق الأرض، يمشي في الأرض مرحا، كأنه يخرق الأرض، أو يبلغ الجبال طولا! إذا به يوضع في هذه الحفرة، في وادي الموتي، اذهب إلي هذا الوادي، إلي تلك المقبرة في قطر، وهي أدل علي الموت من المقابر في بلاد أخري، لأن الجميع في حفر متساوية، الأمير والمأمور، والوزير والغفير، والغني والفقير. حفر متساوية يحفر له في الأرض ثم يردم عليه، هذا هو وادي الموتي! تذكر هذا الموت. لماذا تسوف في التوبة؟ وتقول: سوف أتوب، وما يدريك أن سوف هذه ستأتي، ما يدريك أنك سيأتي عليك الغد؟ لا تدري والله.

تزوّد من التقوى فإنك لا تَدْري ... إذا جَنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر؟
فكم من سَليمٍ مات من غير علّةٍ؟ ... وكم من سقيمٍ عاش حيناً من الدهر؟
وكم من فتى يُمسي ويصبح لاهياً ... وقد نُسِجَت أكفانه وهو لا يدري؟

الباعث الثالث: ذكر الآخرة والجنة والنار:

لابد أن نتذكر الموت، ولابد أن نتذكر الآخرة، الجنة والنار. الموت أشد ما قبله، وأهون ما بعده. المشكلة ليست مشكلة الموت ولكن ما بعد الموت.

ولو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا ... فنسأل بعدها عن كل شيء

إن بعد الموت بعثا، وإن بعد البعث حشرا، وإن بعد الحشر حسابا، وإن بعد الحساب ثوابا أو عقاباً، جنة أو ناراً، لابد أن نذكر هذا كله، وما معني الجنة أو النار؟ إنه ليس شيئا هيناً أن تفقد الجنة وأن تدخل النار، الإنسان يحزن إذا خسر بعض المال أو بعض الصفقات، فكيف إذا خسرت الجنة؟ وكيف إذا دخلت النار؟

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤٥٤) عن عثمان، وقال مخرجو المسند: إسناده صحيح، ورواه ابن ماجه (٤٢٦٧)، والترمذي (٢٣٠٨)، والحاكم (٤/ ٣٣٠).

جسمي ليس على الشمس يقوى ولا على أهون الحرارة

فكيف يقوى على جحيم وقودها الناس والحجارة؟

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. كان بعض الصالحين يقرب المصباح من يديه، ويضع أصابعه عليه، فتلسعه نار السراج، وهي نار ضعيفة خفيفة فيقول: إذا كنت لا تحتمل هذه اللسعة من النار السراج، فكيف بنار الآخرة؟ ونار الدنيا جزء من سبعين جزءا من نار الآخرة؟! ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. أي خسارة أن تفقد الجنة وأي خسارة أن تدخل النار!!

الباعث الرابع: معرفة آثار المعاصي في الدنيا والآخرة:

الباعث الرابع علي التوبة: أن تتذكر خطر المعاصي عليك، وأنك إذا استرسلت فيها ساقتك إلي خسارة نفسك، وبوار صفقتك، وضياع مصيرك، وهلكت في الدنيا والآخرة، لابد أن تقف مع نفسك لتدرس آثار المعصية والخطايا علي حياتك: الروحية والمادية، الفردية والاجتماعية، الحاضرة والمستقبلة، الدنيوية والأخروية. إنها آثار مدمرة. يعرفها كل من تدبر كتاب الله، ومن درس سنة رسول الله، ومن قرأ وقائع الحياة، وتابع أحداثها كل يوم بعين تري، وأذن تسمع، وقلب يعي ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

يا ناظرا يرنو بعينيْ راقد ومشاهدا للأمر غير مشاهد

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى درك الجنان ونيل فوز العابد

أنسيت أن الله أخرج آدما منها بذنب واحد؟!

تريد أن تدخل الجنة وآلاف المعاصي قد ارتكبتها! بل ملايين المعاصي لو حسبتها، وآدم بذنب واحد خرج من الجنة. ولم يسامح نوحا في كلمة حين قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]. فكان الرد الحاسم عليه ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٦ – ٤٧]. وكذلك قال آدم و زوجه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

لابد أن نقف مع أنفسنا هذه الوقفات لنتوب إلي الله تبارك وتعالي، ونرجع إليه، ونعرف آثار المعاصي في النفس وفي الحياة، في الفرد وفي المجتمع، فالمعاصي هي الشؤم علي الإنسان، والشؤم علي الأسرة، والشؤم علي الجماعة، والشؤم علي الأمة، والشؤم علي الإنسانية، والشؤم علي البيئة، والشؤم علي كل شيء ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] أي بمعاصيهم ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشوري: ٣٠].

تذكر أيها الأخ المسلم. تذكر هذا كله ليبعثك علي التوبة إلي الله، لترجع إلي الله بعد أن شردت من الله.

معني التوبة:

التوبة معناها: الرجوع بعد شرودك، بعد بُعْدك عن الله، ترجع إليه تقف علي بابه، ترتمي في ساحته، وتقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

نسأل الله عز وجل أن يتوب علينا توبة نصوحا، وأن يغفر لنا ما مضي، وأن يصلح لنا ما بقي، وأن يجعل يومنا خيرا من أمسنا، وغدنا خيرا من يومنا، ويحسن عاقبتنا في الأمور كلها، ويجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. أقول

قولي هذا وأستغفر الله تعالي لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، فادعوه يستجيب لكم.

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو، إليه المصير. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التغابن: ١]. وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدا عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلي آله، وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون، ورضي الله عن من دعا بدعوته، واهتدي بسنته، وجاهد جهاده إلي يوم الدين.

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

محنتان:

قدّر الله لي في هذا الصيف أن أُبتلي بمحنتين: محنة خارج دار العرب والمسلمين، ومحنة في دار العرب والمسلمين، وأحمد الله عز وجل أن خرجت منهما أصفي جوهرا، وأصلب عودا، وأشد قوة، فالمحن لا تزيد المؤمنين إلا إيمانا وثباتا في الخير، وعزيمة علي الرشد، كما وصف الله تعالي المؤمنين بعد غزوة أحد فقال عز وجل: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١٧٣ – ١٧٤]. وقال عز وجل بعد غزوة الأحزاب: ﴿**وَلَمَّا رَأَي الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٢].

كانت المحنة الأولي أيها الإخوة في لندن، فقد عقد اللوبي الصهيوني هناك

العزم علي أن يمنعني من دخول لندن، وكنا في لندن قد دعينا لنعقد دورة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث هناك، وهذا المجلس كنا نعقده في البلاد الأوروبية، مرة عقدناه في ألمانيا، ومرة: عقدناه في فرنسا، ومرة: عقدناه في إسبانيا، ومرة: عقدناه في السويد، وهكذا.

اللوبي الصهيوني وراء هذه المحنة:

وهذه المرة أردنا أن نعقده في بريطانيا، وكنا عقدنا جلسة تأسيس المجلس الأولي فيها، ودعانا لنعقد جلسة الافتتاح عمدة لندن، ولبينا الدعوة. ولكن اللوبي الصهيوني ثار ثائره، وجن جنونه، وأراد أن يمنعني من دخول لندن، فدخلت لندن ولم يمنعني أحد، بل استقبلوني في المطار: نواب العمدة ورجاله، وأدخلوني قاعة التشريفات الكبري، وهكذا. ثم أرادوا أن يخرجوني بعد أن دخلت! ورفع هذا اللوبي دعوة إلي المدعي العام، يطلبون إخراجي من لندن. يريدون أن يمنعوني من بريطانيا كما منعت قبل ذلك من أمريكا، ولكن بحمد الله رُفضت هذه الدعوة، وقامت معركة سياسية كبيرة بين الحكومة والمعارضين، انتهت إلي مجلس العموم، وكان زعيم المعارضين وهو يهودي يرأس حزب المحافظين، يبذل كل جهده لإخراجي من هناك.

سبب المحنة: أنني أدفع المقاومة:

وظللت عدة أيام والشغل الشاغل للصحافة والإذاعة والتليفزيون بقنواته المختلفة هو: يوسف القرضاوي؛ الذي يشجع الإرهاب، ويشجع العمليات الإستشهادية، ويؤيد المقاومة الإسلامية، يؤيد حماس، ويؤيد الجهاد الإسلامي، ويؤيد حزب الله، ويقف ضد إسرائيل، وضد السلام مع إسرائيل، ولكن الله سبحانه وتعالي أيها الإخوة نصرني علي هؤلاء، بمجرد أن لقوني وأجروا معي حوارات مختلفة، واستمعوا إلي خطبتي في المسجد المركزي الكبير، وسألوني أسئلة محرجة أجبت عنها بصراحة وقوة، فلم يجد هؤلاء إلا أن يغيروا موقفهم، وأصبحت الصحافة التي تهاجمني تدافع عني، الرجل الذي حاورني من

التليفزيون حواراً طويلا، قال لي في نهاية الحوار: أشهد يا أستاذ أنني تعلمت منك الكثير في هذا اللقاء، وهذا من إنصاف القوم.

موقف عمدة لندن:

كان عمدة لندن (كن ليفنجستون) وهو رجل شهم، يعتبر الشخصية الثالثة أو الرابعة سياسيا في انجلترا، قد تبني الدفاع عني، واستقبلني في قاعة البلدية، وقال: أنا أستقبلك في القاعة التي رفضت أن يدخلها بوش، هكذا وقف الرجل وقفة صُلبة في الدفاع أمام هذا اللوبي الصهيوني، وأتاح لي فرصة أخري لمؤتمر عن الحجاب، كنت المتحدث الرئيسي فيه، ودعاني إلي مؤتمر في شهر أكتوبر القادم[1] هكذا يدافع الله عن الذين آمنوا.

حاخامات يعارضون إسرائيل:

وكان من العجيب أني وجدت عددا من حاخامات اليهود يقفون بجانبي، اليهود الذين يعارضون قيام إسرائيل ويرون أن قيامها مصيبة علي اليهود، وكارثة علي اليهود، وأنها هي التي ستعجل بنهايتهم، هؤلاء الحاخامات وجدتهم معي في افتتاح المجلس الأوروبي للإفتاء، وفي بعض المحاضرات كانون موجودين، وأصروا أن يودعوني في المطار، ثمانية منهم ظلوا في المطار حتي دخلت إلي الجوازات، هذه محنة أنهاها الله علي خير خارج ديار المسلمين، وهناك عقدنا مجلسنا الأوروبي وأنهيناه، وعقدنا أيضا جلسة تأسيس الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وجاء أكثر من مائتين وخمسين عالماً من أنحاء العالم، وقام الاتحاد المبارك علي بركة الله، كان هذا فضل من الله سبحانه وتعالي.

المحنة الثانية:

ثم ابتليت أيها الإخوة بمحنة أخري داخل بلاد العرب والمسلمين، محنة بين قومي وأهلي، وشاعرنا العربي طرفة بن العبد يقول:

وظلم ذوي القربي أشد مضاضة علي المرء من وقع الحسام المهند

---

(١) اعتذر فضيلة الشيخ عن هذا المؤتمر لانشغاله بأعمال أخري.

سبب هذه المحنة:

بدأت هذه المحنة بكلمة قلتها في نقابة الصحفيين في مصر، بعد محاضرة احتشد لها جمهور ضخم، معظمهم من الكتاب والصحفيين، وسئلت سؤالا عن قتال جنود الاحتلال في العراق، وقتال المدنيين منهم؟ وأجبت بما أجبت به، قلت: الأمريكيون في العراق غزاة، والغزاة يجب أن يقاوموا، هل هناك في العراق مدنيون من الأمريكيين؟ أم أنهم كلهم دخلوا مع جيش الاحتلال؟ وذكرت أن الإسلام لا يقاتل المدنيين ولا يقتلهم، ذكرت بذلك الأحاديث الشريفة التي تنهي عن قتل النساء والصبيان والشيوخ، والرهبان في الصوامع والفلاحين الحراث في أراضيهم، والتجار في متاجرهم، ذكرت هذه النصوص، وقلت: لكن من عاون المقاتلين فهو عسكري هذا أمر.

وكان السؤال هل يجوز التمثيل بالجثث بحال من الأحوال، وهناك نهي صريح، وأحاديث صحيحة صريحة تنهي عن المُثْلة، حتي ولو كان أعداء المسلمين يمثلون بجثثهم. وأخذ بعض الناس جزء من الكلمة وقطعوها عن سياقها علي طريقة (لا تقربوا الصلاة)، وقالوا: إنني أجيز قتل المدنيين بإطلاق بدون هذا السياق، وبدون هذه القيود التي تقيد الموضوع؛ ليروجوا مقولة يريدون فيها أن يصطادوا في الماء العكر، أو أن يعكروا الماء ليصطادوا فيه، هكذا قالوا. مما اضطرني أن أعقد مؤتمرا صحفيا هنا في النادي الدبلوماسي في الدوحة، وأفسر ما أردته، وقد قيل أنه تراجع وما تراجعت.

من هو المدني؟ ومن هو العسكري؟

لكن القضية هي قضية من هو المدني؟ هل المهندس الذي يجيء مع الجيش ليصلح الدبابة إذا عطبت هل هذا المهندس مدني أم عسكري؟ من هو المدني؟ ومن هو العسكري؟

القضية كل من يقاتل أو يعاون المقاتلين فهو عسكري، أنا أريد أن أسأل

الناس هؤلاء: هل شارون عندهم مدني أم عسكري؟ ماذا يقولون في شارون؟ ما هي المدنية وماهي العسكرية؟ وخصوصا في عصرنا، والحرب لم تعد واحد يضرب واحداً بالسيف أو بالرمح أو الحربة. لا أصبحت الحرب تخدمها مؤسسات عدة، وأفراد من كل ناحية. لابد أن نحدد من هو المدني، ومن هو العسكري.

لمن توجه هذه الضربة؟

ومع هذا وجدنا طائفة من العلمانيين تنتهز هذه الفرصة تحاول أن تضرب ضربتها؛ لا في يوسف القرضاوي ولكن في الدعوة الإسلامية، والرسالة الإسلامية، يريد هؤلاء أن ينتهزوا هذه الفرصة ليقولوا: إن الإسلام ليس يسر، حتي التيار الوسطي والتيار المعتدل، كل هؤلاء إرهابيون. ومعاذ الله أن نكون إرهابيين. نحن ضد الإرهاب، ونحن ضد العنف، وأحمد الله أن مقالاتي ومحاضراتي وخطبي وكتبي وبرامجي التليفزيونية كلها مكشوفة علي الملأ، يعرف الناس موقفي، ولكن هؤلاء لا يريدون أن يفهموا.

يأكلون من كلامي ويطلبون محاكمتي:

حتي إن صحيفة إماراتية منذ أيام قد طالبت الضحية الأمريكي الرهينة الذي قتل في العراق أن يرفعوا دعوي ضدي. لماذا؟ لأن فتواي هي التي تسببت في ذبح هذه الرهينة! يا عجبا كأن أبا مصعب الزرقاوي ينتظر فتواي حتي ينفذ ما يريد! لقد قتل أمريكيين من قبل، وقتل إيطاليين، وقتل أتراكا، وقتل باكستانيين، وقتل نيباليين، وقتل.. ولم تكن فتوي مني ولا كلمة مني، وبالأمس قتلوا الرهينتين الإيطاليتين، وقد طالبت مطالبة ملحّة بالإفراج عنهما، هؤلاء الناس لا أدري ما يقولون؟ بأي لغة يخاطبون الناس؟ كأنما يظنون أن الناس لا عقول لهم.

وأعجب لهذه الصحيفة ولبذاءتها فقد أوسعتني سبا وشتما، وقال لي بعض الناس: ألا ترد علي هذه البذاءة؟ علي هذه الشتيمة؟ قلت: كيف أرد علي السبابين والشاتمين؟ يسعني قول الله تعالي: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ**

﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

الشاعر العربي يقول:

لو كل كلب عوى ألقمته حجرا لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

لا. لا تتسع الحياة ولا الأعمار لنرد علي هؤلاء[1]، وكل إناء ينضح بما فيه، نسيت هذه الصحيفة أنها ظلت عدة سنوات تنشر لي كل يوم مقالا، وكانت تبذل الجهود لتستكتبني، أو لتجري معي حوارا، ثم هي الآن تقول عني ما تقول، يا عجبا.

الفرق بين الوجود الأمريكي في العراق وفي قطر:

ووجدت بعض الكتاب يقول: ماذا يقول القرضاوي في القوات الأمريكية أو الوجود الأمريكي في قطر، يريدون أن يحرجوني ويريدون أن يضيقوا عليّ الخناق، وأنا أريد أن أقول لهؤلاء: لا تخلطوا الحابل بالنابل، ولا تلبسوا الحق بالباطل. هناك فرق بين الوجود الأمريكي في العراق، والوجود الأمريكي في قطر، الوجود الأمريكي في العراق دخل نتيجة غزو عسكري ظالم قهر البلاد، وقهر أهلها، حتي احتل الأرض، برغم أنف أهلها، وبرغم الشرعية الدولية، وبرغم أنف الملايين من الجماهير التي ثارت وتظاهرت في كل مكان. أما الوجود الأمريكي في قطر هذا نتيجة اتفاقات بينه وبين حكام البلد، بناء علي اعتبارات رأوها، وهم

---

(١) قام فضيلة الشيخ مؤخراً برفع قضية ضد هذه الصحيفة (الاتحاد الإماراتية) وكّل فيها المحامي القطري البارز الأستاذ عبد العزيز بن صالح الخليفي، الذي قام بواجبه خير قيام، شكر الله له. وكنت قد سألت فضيلة الشيخ عن سبب رفع هذه الدعوي، وبخاصة وأن فضيلته تعرض لمثل هذه المواقف مرات عديدة، ولم يكن منه سوي إهمال هذه البذاءات وأصحابها، فأجابني فضيلة الشيخ: أن هذه البذاءات لم تخرج من فرد، وإنما خرجت من مؤسسة حيث إن الكلمة كانت «كلمة التحرير»، وثانيا أن الجريدة تابعت الكلام في عددين متتالين ٢٢، ٢٣/ ٩/ ٢٠٠٤، وثالثا: أن وراء هذا الهجوم أعداء كثر من الخارج يخططون ويدبرون. وحكمت المحاكم القطرية بتغريم هذه الصحيفة ومؤسسة النشر التابعة لها (الإمارات للإعلام) بغرامة تأديبية مقدارها (١٠٠٠٠٠٠) عشرة ملايين ريالاً قطريا بتاريخ ١٤/ ٤/ ٢٠٠٥م.

يتحملون مسئوليتها أمام الله وأمام الشعب وأمام التاريخ، وإن كنت أنا شخصيا أكره الوجود الأمريكي في قطر، وأكره الوجود الأمريكي في الخليج، وأكره الوجود الأمريكي في بلاد العرب وفي بلاد المسلمين، وبلاد «الواق الواق» في اليابان أو في غيرها، أكره الوجود الأمريكي في كل مكان، ولكن هذا شيء وقتال هؤلاء شيء آخر.

لست مداحاً لأحد:

وبعض الناس قالوا: لماذا سكت العلماء أيام صدام حسين، الذين يقولون الآن بقتال الوجود الأمريكي. أين كانوا أيام صدام حسين؟ وأقول لهؤلاء: إن هذا الصوت لم يصدر منه في يوم من الأيام كلمة مدح أو ثناء لصدام حسين. بل كنت في معركة مع الخليجيين عامة، الذين كان كثير منهم أبواقا لصدام حسين، هؤلاء الذين يشتمون صدام حسين اليوم، كانوا يمدحونه ويوسعونه ثناء وإطراء أيام صولته وجولته، لعل هذا المنبر هو المنبر الوحيد الذي لم ينافق أحدا. ومعظمكم يعايشني ويسمعني منذ سنوات ما مدحت صدام حسين، وأحمد الله أني في حياتي لم أشتغل مداحا لأحد، لا حاكما ولا محكوما، لا في مصر ولا في قطر، ولا في أي بلد من البلدان. لقد أتممت الثامنة والسبعين من عمري، وأحمد الله أنني عشت فيها عزيزا كريما، لم أحن رأسي لمخلوق، ولم أعفر جبهتي إلا لله راكعاً أو ساجداً، لا يستطيع أحد أن يتهمني أنني مالأت أحداً أو نافقت أحدا، وكلكم شاهدون علي ذلك. إنني أعيش بالإسلام وللإسلام وحده، ولا أستطيع إلا أن أكون كذلك.

أتمني أن تختم حياتي بالشهادة:

لقد هددني الموساد يوما بالتصفية الجسدية، ووقفت علي هذا المنبر وقلت: إني لا أخاف الموساد ولا التهديد بالموت، مرحبا بالموت في سبيل الله، والله ثم والله ثم والله: إني لأتمني أن تختم حياتي بالشهادة في سبيل الله.

صوتي كان أعلي الأصوات:

هؤلاء الذين يريدون أن يجعلوني من أتباع صدام، ويقولون: أين كان هذا الصوت أيام الهجوم علي الكويت وغزو الكويت؟ والله لقد كان صوتي أول الأصوات التي ارتفعت بالتنديد بغزو الكويت والمعارضة لصدام. ومن هذا المنبر، صدرت أول خطبة وأقوي خطبة في مقاومة الغزو. وكانت خطبتي تذاع في الإذاعة الكويتية الخاصة، في كل ساعة يعيدون خطبتي!

لقد دعا صدام علماء المسلمين في مؤتمرات شتّي وألحوا عليّ، ألح عليّ السفير العراقي هنا في قطر أن أحضر، فلم أحضر، ورصد الراصدون من رجال الحكم العراقي من حضر وقالوا: كل العلماء استجابوا لنا إلا عالمين اثنين: أبو الحسن الندوي في الهند، ويوسف القرضاوي في قطر. لم أستجب وأنا إلي الآن لم أزر العراق في حياتي. من يتهمني بأني مالأت هذا أو ذاك؟!

خطيب مهووس:

أحب أن أقول أيها الإخوة: هناك خطيب مهووس في الكويت دعا من فوق المنبر حكومة قطر أن تسحب مني الجنسية القطرية، كأن الجنسية القطرية ثوب يخلع ويلبس، وهؤلاء نسوا أني قطري حقا، وأني أصبحت أحمل الجنسية القطرية كما يحملها أي قطري. إن في قطر رجالا دافعوا عنّي أيام عبدالناصر، ودافعوا عني أيام بوش أيضا. أراد عبدالناصر أن يسحبني من قطر لأذهب من الدار إلي النار، إلي السجن الحربي، ورفضت قطر، وكان ذلك موقفا مشرفا لقطر. وأراد بوش وأتباعه شيئا واحدا من قطر: أن تسكت لسان القرضاوي!! فلم تقبل قطر ولا أمير قطر، ولم تفرط في حقي وأنا أشكر لهم ذلك، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

وأحب أن أرخي العنان إلي هؤلاء الذين يطالبون بإسقاط الجنسية عني، وأفترض المستحيل، وعلماؤنا يقولون: فرض المستحيل جائز، هب أن قطر استجابت لمنطق هؤلاء الحمقي، وسحبت جنسيتي.

والله إن هذا لا يخيفني. إن أرض الله واسعة. الله تعالي يقول: ﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [العنكبوت: ٥٦] ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر: ١٠]. هل تعجز الأرض علي سعتها أن تهييء لي كوخا يسعني حيا، أو قبرا يسعني ميتا؟! لن تضيق الأرض بذلك. وأنا أؤكد ما قاله إمامنا الشافعي رضي الله عنه حينما قال:

أمطري لؤلؤاً جبال سرنديب ... وفيضي آبار تبريز تبرا
أنا إن عشت لست أعْدَم قوتاً ... وإذا متُ لستُ أُعْدَمُ قبرا
همتي همة الملوك، ونفسي ... نفْسُ حُرٍ ترى المذلة كفرا
وإذا ما قَنَعَتْ بالقوت عمرى ... فلماذا أهابُ زيداً وعمرا؟

أنا لا أخاف أحدا إلا الله، لقد اتخذنا شعارا للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يتمثل في هذه الآية الكريمة: ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

إن الذي يحز في نفسي: أني وجدت الإعلام البريطاني في جملته أعدل وأصدق من الإعلام العربي والخليجي في جملته، الإعلام البريطاني الذي شنّ عليّ الغارة عدة أيام بمجرد أن قابلوني وحدثوني وحاوروني غيروا كلامهم تماما، ولكن الإعلام العربي للأسف يغالط ويكذب ويزور، ويقوِّلني ما لم أقل. وهذا من عجائب الدنيا، أنا لا يهمني هذا بحسبي أن أرضي الله تبارك وتعالي، لا يهمني رضا الناس.

ومن فى الناس يرضى كل نفس ... وبين هوى النفوس مدى بعيد

رضا الناس غاية لا تدرك، ولكني أهتم بأن أرضي الله تبارك وتعالي، إذا رضي الله عني فما يهمني سخط الخلق وإذا سخط الله عليّ، فما ينفعني رضا الناس، إن إرضاء الله تبارك وتعالي هو الغاية والهدف، ولا يهمني أن تنتهي

حياتي بموت في سبيل الله، أسأل الله أن يختم لي به، وأنشد هنا ما قاله الصحابي الجليل: خبيب بن عدي، الذي قدم إلي الخشبة ليصلب فكان نشيده:

ولسْتُ أُبَالِي حين أُقْتَلُ مُسلماً على أى جَنْبٍ كان فى الله مصرعي
وذلك فى ذات الإله وإن يشـأ يبارك على أوصال شلو مُمَزَّعِ

* * *

(١٩)

تفجيرات مسرح قطر عمل مستنكر[١]

الخطبة الأولي:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

في يوم السبت الماضي التاسع عشر من شهر مارس حدث حادث غريب علي هذا البلد الآمن المطمئن، غريب علي أهل قطر وعلي سكان قطر، هذا الحادث قد عرفتموه وأبديتم استنكاركم له، واحتجاجكم عليه، هذا الحادث هو: التفجير الذي حدث في أحد المسارح، وبجوار أحد المدارس، وأصيب من أصيب فيه، وكان يمكن أن تكون الواقعة أكبر من ذلك، وأن تكون ضحاياها أكثر لولا لطف الله عز وجل، قتل فيها مدرس أجنبي يدرس اللغة الإنجليزية، وأصيب فيها من أصيب من التلاميذ والأطفال والنساء والرجال. عدد قليل والحمد لله.

ماذا وراء هذا الحادث؟

ولكن المشكل ماذا وراء هذا الحادث؟ ما الذي جعل إنسانا مسلما يعيش في قطر يرتكب مثل هذا الحادث الأحمق، الذي لا يدفع إليه عقل عاقل ولا دين متدين؟

لا نستطيع أن نعمم كما يعمم الكثير من الناس؛ ندين كل المصريين لأن هذا مصري، ندين كل المهندسين لأن هذا مهندس، ندين كل المسلمين لأن هذا مسلم، أو ندين كل المتدينين لأن هذا متدين، هذا خطأ. لا بد أن نبحث ونحلل. ماذا وراء هذا العمل من دوافع وأسباب؟ قالوا عن الرجل: إنه رجل مستقيم متدين يعيش عيشة طيبة. يعيش في مؤسسة مرموقة؛ يتقاضي راتبا جيدا، ويعيش في

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ٢٥/٣/٢٠٠٥م.

أسرة مستقرة. له زوجة وله أولاد، ولم يشكو أحد من رفقائه ولا من زملائه من سوء خلقه ولا من سوء معاملته.

فهم أعوج ومنطق أعرج:

ما الذي دفع هذا إذن إلي ارتكاب مثل هذا الحادث الأحمق؟

لابد أيها الإخوة أن يكون هناك خلل في الفكرة، آفة كثير من الناس الذين عرفناهم وجربناهم في عدد من الأقطار العربية والإسلامية، عرفناهم في مصر، عرفناهم في الجزائر، عرفناهم في الرياض في السعودية، عرفناهم في المغرب، عرفناهم في باكستان، عرفناهم في بلاد الخليج، عرفناهم في بلاد شتي.

آفة هؤلاء في عقولهم في أفهامهم في فهمهم الأعوج، في فهمهم الأعرج، في فهمهم للدين وفهمهم للحياة. هذه هي آفة هؤلاء، تلّقي أحدهم من أناس لا نعلم ما هي معرفتهم بالدين. فتفقه تفقها أعوج فيه خلل من جهات عدة، استباح حرمة الدماء، واستباح حرمة الأموال، واستباح حرمة الأمن، وروّع الآمنين، واستباح حرمة الخلق، وإيذاء الخلق. هذه الحرمات المصونة في الإسلام. استباح هذا بهذا الفقه الأعوج الأعرج الذي ورثه عن أسلاف سابقين، عرفتهم الأمة الإسلامية في تاريخها، هؤلاء الأسلاف كانوا صُوّامًا قُوّامًا عُبّادًا قُرّاءً للقرآن، يصومون النهار ويقومون الليل، ومع هذا استباحوا دماء المسلمين.

الخوارج الذين جاءت الأحاديث في ذمهم من عشرة أوجه كما قال الإمام أحمد. هؤلاء كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «يحقر أحدكم صلاته إلي صلاتهم، وقيامه إلي قيامهم، وصيامه إلي صيامهم، وقراءته إلي قراءتهم[1].

هكذا كان وصفهم في العبادة، ولكن (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)، يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإسلام، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم. هذه آفتهم قرْاء للقرآن، ولكن القراءة لا تجاوز الحناجر، لا تنتقل من الحناجر إلي الرأس، وإلي القلب حتي يفقهوه حق فقهه، وحتي يؤثر في فهمهم وسلوكهم.

---

(١) رواه البخاري في المناقب (٣٦١٠) ومسلم في الزكاة (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري.

آفة هؤلاء ليست في نيّاتهم ليست في ضمائرهم. آفتهم في رؤوسهم في عقولهم، هكذا كان الخوارج قديما وهكذا كانوا هؤلاء حديثا. الخوارج استباحوا دماء المسلمين، استباحوا أموال المسلمين، حتي إنهم استباحوا دم ابن الإسلام البكر، فارس الإسلام، وحكيم الأمة: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، استباحوا قتله وقتلوه، افتخر بذلك شاعرهم، يمدح قاتل علي رضي الله عنه وكرم وجهه يقول:

يا ضربة من تقى ما أراد بها ... إلا ليبلغ عند ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره يوما فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

قاتل علي بن أبي طالب، زوج البتول، وابن عم الرسول، قال عن قاتله: أحسبه أوفي البرية عند الله ميزانا هذا هو الخلل.

الإخلاص وحده لا يكفي:

رأينا هؤلاء الشباب المغرّرين المضللين، المخلصين في نياتهم، المختلين في عقولهم، رأينا هؤلاء يستبيحون حرمة الدماء، وللدماء حرمة عظيمة في الإسلام وفي كل الأديان، كما قرر القرآن مع كتب السماء: ﴿**أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ [المائدة: ٣٢] فكأنما قتل الناس جميعا.

الاجتراء علي قتل النفس الواحدة كالاجتراء علي قتل الآلاف، يقول النبي ﷺ: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق»[1] وليس قتل المسلم فقط هو المحرم. قتل المعاهد، قتل المستأمن، من كان له عهد فلابد أن يرعي عهده: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً**﴾ [النحل: ٩١] و﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾ [الإسراء: ٣٤].

جاء بعض الناس بعد صلح الحديبية، نفرٌ من أهل قريش نفرٌ ينضم إلي

---

(١) رواه النسائي في تحريم الدم (٧/ ٨٢) والترمذي في الديات (١٣٩٥) وذكره الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٨).

الرسول يحاربون معه، قال: «لا نفي لهم عهدهم، ونستعين الله عليهم»[1] نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم، لا نغدر، الغدر من صفات المنافق، وليس من صفات المؤمن. المنافق «إذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[2] والمؤمن ليس كذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «من قتل معاهدا أو معاهدا لم يرح رائحة الجنة – لم يشم رائحة الجنة – وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»[3]، إذا عاهد عهدا مؤبدا أو مؤقتا، أو أُعطي أمانا، إذا أعطاه المسلمون أمانا، إذا أعطاه الحاكم إذا أعطاه أي فرد من الرعية، إذا أعطته امرأة.

أم هانيء بنت أبي طالب أعطت بعض أحمائها – أقارب زوجها – من المشركين أمانا وأراد أخوها علي أن يخترق هذا الأمان فشكته إلي النبي ﷺ فقالت: إني أجرت فلانا وأراد ابن أم أن يفعل كذا وكذا! فقال: «لقد أجرنا من أجرت يا أم هانيء».

قتل المستأمنين لا يجوز:

ولذلك قرر العلماء: لو أن امرأة مسلمة أعطت مشركا محاربا عهدا وأمانا؛ فلا يجوز أن نفرط هذا الأمان، فكيف إذا أعطته الدولة أمانا؟ أعطته تأشيرة لا يدخل بهذه التأشيرة شك أنها أمان، أعطته إقامة ليعمل في البلد، وماذا يعمل؟ يعمل مدرسا أم خبيرا أم أي شيء كهذا، كيف تستباح حرمته؟ في الإسلام، له احترامه ولا يجوز أبدا خرقه، في الإسلام لا يجوز أبدا أن تغدر، ولا يجوز أن تخرق عهداً. هؤلاء استباحوا حرمة الدماء، واستباحوا حرمة الأموال.

حرمة الدماء والأموال:

الإسلام يحافظ علي الأموال: أموال الأشخاص، والمال العام، لا يجوز

---

(١) رواه مسلم في الجهاد (١٧٨٧) عن حذيفة بن اليمان.

(٢) إشارة إلي حديث عبد الله بن عمرو، رواه البخاري في الإيمان (٣٤) ومسلم في الإيمان (٥٨)..

(٣) رواه البخاري في الجزية والموادعة (٣١٦٦) عن عبد الله بن عمرو.

إضاعة المال. النبي ﷺ ينهي عن إضاعة المال، أو إهدار المال، أو إسراف المال، وكل مال له احترامه وخصوصا مال الجماعة. وخصوصا مال الأمة.

العلماء قالوا: المال العام مثل مال اليتيم، أي تشتد الحرمة فيه، ويشتد الإثم في إهداره لأنه ليس مال زيد ولا عمرو، بل مال الأمة كلها. الذي يدمر مبني، أو يدمر مدرسة، أو يحرق سيارة، أو يفعل كذا... هذا لا يجوز، الأموال لها حرمتها. الله سبحانه وتعالي يقول: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ**﴾ [البقرة: ١٨٨] أموالكم لم يقل لا تأكل مال غيرك، لأنه اعتبر مال الغير مالك، مال المجتمع.

نعمتان من أعظم النعم:

لا بد أن يتعاون المجتمع علي صيانة الأموال لا يجوز إهدار الأموال، استهانوا بحرمة الدماء، واستهانوا بحرمة الأموال، واستهانوا بحرمة الأمن، الذي هو نعمة من أعظم النعم التي امتن الله بها علي قريش، وطالبهم بعبادته وحده شكرا لهذه النعمة، قال تعالي: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾ [قريش: ٣، ٤] أطعمهم من جوع وآمنهم، هاتان النعمتان اللتان يبحث عنهما الناس، الكفاية من العيش والأمن من الخوف.

نعمة الأمن:

لا يكفي أن تكون في رغد من العيش؛ إذا كنت تعيش خائفا علي نفسك، خائفا علي عرضك، خائفا علي أهلك، خائفا علي مالك. قال أحد الحكماء وقد سئل عن السعادة قال: السعادة في الأمن. فإني رأيت الخائف لا عيش له، الذي يعيش في خوف ورعب فهذا لا عيش له. لا ينعم بالعيش، ولذلك امتن الله بهذه النعمة.

وحينما دخل يعقوب وأولاده إلي مصر قال لهم يوسف الصديق: ﴿**ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ [يوسف: ٩٩] آمنين لأن الأمن أهم شيء، من صفات الجنة أنها دار أمن، يقال لأصحاب الجنة: «ادخلوها بسلام آمنين» ومن أوصاف

أهل الجنة أنهم ﴿ **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [يونس: ٦٢] منّ الله على قوم سبأ أنهم كانوا يسيرون في أسفارهم سالمين آمين، ﴿ **سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ** ﴾ [سبأ: ١٨] الأمن نعمة عظيمة، الأمن وكفاية العيش، فإذا حرمهما مجتمع فقد ابتلي بشر بلية، كما حكي الله عن قوم فقال: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النحل: ١١٢] الجوع والخوف بدل كفاية العيش والقمح – الجوع والخوف – أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. اعتبر الرسول ﷺ أن الإنسان في سربه في نفسه وجماعته من مقومات السعادة الأساسية قال: (من أصبح منكم آمنا في سربه، معافي في بدنه، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[1] هذه الثلاثة:

١ – الأمن في السرب أمن الإنسان في نفسه وجماعته.

٢ – العافية في البدن أن لا يشكو من مرض يؤلمه.

٣ – عنده قوت يومه، ليس من الضروري أن يكون عنده الملايين أن يكون مطمئنا علي قوت يومه.

فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها، كأنما عنده القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

ولذلك حينما يهل الهلال من كل شهر يطالعه المسلم في السماء ويقول: (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله)[2] بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام. كما يبحث الإنسان عن الإيمان يبحث عن الأمن، وكما يبحث عن الإسلام يبحث عن السلامة.

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الزهد (٢٣٤٦) وقال: حسن غريب، ورواه ابن ماجه في الزهد (٤١٤١) عن عبد الله بن محصن الأنصاري، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨).

(٢) رواه أحمد (١٣٩٧) عن طلحة بن عبيد الله، وقال مخرّجوه: حسن لشواهده، ورواه الطبراني في الدعاء (٩٠٣) وعبد بن حميد (١٠٣) والدارمي (١٦٨٨).

فهؤلاء استباحوا حرمة الأمن، وروّعوا الامنين في دين يحرم ترويع الامنين بأي سبب من الأسباب، في غزوة من الغزوات خفق أحد الصحابة علي راحلته، أخذته سنة من النوم، فأراد أحد الصحابة أن يمازحه، وكان معه كنانة فيها سهام فأخذ سهم من كنانته في هدوء وخفية، ففزع الرجل من النوم، ورأي النبي ﷺ هذه الفزعة فقال: «لا يحل لرجل أن يروع مسلما»[1] هذا الترويع الخفيف الذي هدفه المزاح والمداعبة لا يحل، يحرم عليك أن تفزع أخاك، تقلقه من نومه، وقد خفق من تعبه ومعاناته، لا يحل لرجل أن يروع مسلما.

وقوله «يروع مسلما» ليس أن ترويع غير المسلم جائز لا، الرسول ﷺ يقول في حديث آخر: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس علي دمائهم وأموالهم»[2] أمنه الناس كل الناس.

الأمن للناس كل الناس. والعدل للناس كل الناس. قال تعالي: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾ [النساء: ٥٨] هؤلاء استباحوا ترويع الآمنين في هذا المجتمع الذي يعيش الناس فيه في حرية، متمتعين بالنشاط والحركة لا يجدون تضييقا، ولا يجدون تشديدا، ولا يجدون إحراجا. هذه الأعمال الحمقاء، هي التي تسبب الإحراج والتفطيس والتضييق.

هؤلاء استباحوا كذلك إيذاء الخلق، لا يجوز للإنسان أن يؤذي أحدا. الإسلام رحمة، هكذا وصف الله هذا الدين، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وعبّر النبي ﷺ عن نفسه وعن شخصيته ووظيفته فقال: (إنما أنا رحمة مهداة)[3]، هو رحمة مهداة، ونعمة مسداة، رحمة للعالمين، ونعمة

---

(١) رواه أحمد (٢٣٠٦٤) عن رجل من أصحاب محمد ﷺ، وقال مخرّجو المسند: إسناده صحيح، ورواه أبو داود (٥٠٠٤) والبيهقي في السنن (١٠/٢٤٩).

(٢) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٢٧) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه النسائي في الإيمان (٤٩٩٥) عن أبي هريرة، وهو عند البخاري ومسلم «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهي الله عنه» البخاري في الإيمان (١٠) ومسلم في الإيمان (٤١).

(٣) رواه الحاكم (١/٣٥) عن أبي هريرة، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه الترمذي في العمل (٦٨٥) والبيهقي في الشعب (١٤٤٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٤٩٠).

للمؤمنين. فلا يجوز للمسلم أن يتقرب إلي الله بإيذاء الآخرين، وهم لم يؤذوه، لم يرتكبوا في حقه إثما. لماذا يؤذي هؤلاء الناس؟ هؤلاء الذين كانوا يحضرون هذه المسرحية، من كان يحضرها في المدارس الأجنبية التي تعلم الناس هنا، ربما كان لي بعض التحفظات علي هذه المدارس، ولكن هذا شيء، وأن تقتل أولادها شيء آخر. تلاميذ صغار كيف يستباح قتلهم؟!

أخلاقنا الحربية:

الإسلام في الحرب العلنية الرسمية التي تتواجد فيها الجيوش مع الأعداء المحاربين يقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم في حديث بريدة: «لا تقتلوا امرأة، ولا تقتلوا وليدا، ولا تقطعوا شجرا» ولا تقتلوا وليدا. الأطفال لا يجوز قتلهم. فكيف نقتل هؤلاء الأطفال؛ ومعظمهم من أطفال العرب والمسلمين، وهب أن منهم من كان من أبناء الأجانب؛ من يبيح لنا قتل هؤلاء الأبناء؟ من يبيح لنا قتل الأجنبي الذي يعمل مدرسا، وقد أعطي الأمن منا، من الدولة والمجتمع؟ من يستبيح هذا؟ هذا أمر لا تجوز استباحته، هؤلاء ارتكبوا أفعالا ليست من الإسلام بحال من الأحوال، نحن أيها الإخوة نقول لهؤلاء: أصلحوا هذا الخلل في رؤوسكم، في فقهكم هذا الفقه الأعوج. يجب أن يستقيم. من أين أخذتم هذا الفقه؟

التيار الوسطي لا يعرف العنف:

قالت جريدة الشرق الأوسط: إن هذا المتهم بارتكاب الحادث، أو الذي فعل الحادث لم يكن ممن يصلون خلف الشيخ القرضاوي في مسجد عمر بن الخطاب، هذه شهادة تهمنا، أنا أعتقد أن الذين يصلون في هذا المسجد، يصلون وراءنا التراويح كل عام لا يمكن أن يرتكب أحد منهم الحادث الأحمق الفاجر، لا يمكن. فقد استنارت عقولهم بالإسلام الصحيح، هؤلاء لا نعرف مَنْ شيوخهم؟ من أساتذتهم الذين أخذوا عنهم، واقتبسوا منهم، وتتلمذوا عليهم؟ إن الإسلام لا يجيز قتل كل كافر غير مسلم، من قال هذا؟ اقرءوا سورة الممتحنة نزلت في الوثنيين المشركين قال الله تعالي: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ**

﴿ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة : ٨، ٩] نهي عن موالاة المحاربين وأمر ببر المسالمين، البر إليهم والإقساط إليهم : أن نعاملهم بالقسط والبر والعدل، والبر هو : الإحسان . القسط : أن تعطيهم الحق الذي لهم، البر أن تزيد لهم شيئا فوق الحق، القسط : أن تأخذ حقك منهم، البر : أن تتنازل عن بعض حقك، (تبروهم) عبر القرآن عن العلاقة بهؤلاء بلفظة (البر) التي نستخدمها في أقدس الحقوق بعد حق الله : حق الوالدين نقول : بر الوالدين ﴿ **أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ** ﴾ .

ألا تزر وازرة وزر أخري :

ربما قال البعض : إن هذا من البريطانيين الذين يحاربوننا، ولكن أيها الإخوة . من الظلم أن نحمّل جميع البريطانيين أو حتي جميع الأمريكيين إثم حكوماتهم . لقد خرجت مسيرات مليونية في بلاد دخلت الحرب في العراق . في بريطانيا، في إسبانيا، في إيطاليا، حكوماتها دخلت الحرب والشعوب تحتج علي هذا بالملايين .

هل يجوز لي أن أقتل هؤلاء؟ هل يجوز لي أن أقتل عمدة لندن الذي وقف يدافع عن القضية الفلسطينية ويدافع عن دعاة الإسلام؟ هل يجوز أن نقتل هؤلاء؟ نريد لهؤلاء أن يتفقهوا في الدين وأن يعرفوا الحرمة، عندهم خلل في فقه الجهاد، ظنوا الجهاد أن نحارب العالم كله[1]، الله تعالي يقول : ﴿ **فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً** ﴾ [النساء : ٩٠] إنما نحارب من قاتلونا في الدين، وأخرجونا من ديننا وظاهروا علي إخراجنا . ومن

---

(١) يتوهم بعض الشباب المتحمس أن علة قتال غير المسلمين هي الكفر فقط، وعليه فإنهم يرون حرب العالم كله، وهو رأي فقهي قال به بعض الفقهاء في القديم، وقد رد شيخنا علي هذا الرأي ودعم رأيه (أن قتال غير المسلمين ليس لعلة الكفر) بكثير من الأدلة والبراهين، وهو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وللمزيد من هذا يراجع (فقه الجهاد) تحت الطبع .

يتول هذه الحرب هل يتولاه الأفراد؟ مشكلة هؤلاء أن أحدهم يعطي نفسه سلطة الإفتاء وسلطة القضاء وسلطة التنفيذ، هو أفتي بنفسه من معلومات وقشور تعلمها من هنا وهناك، أو من بعض الشيوخ الذين لا يحسنون أن يُعَلّموا، أعطي نفسه سلطة الإفتاء، وأفتي نفسه، ثم سلطة القضاء، وحكم أنه يجب أن يفعل كذا، ثم سلطة التنفيذ. فهو النيابة والقضاء والشرطة جميعا، هناك خلل في فقه الجهاد. ينبغي أن يفقهوا الجهاد حق الفقه.

يقول بعضهم: إن قطر فيها الأمريكان، ولهم قاعدة كبيرة. وهذا صحيح، ولكن الأمريكان دخلوا قطر باتفاق مع حكومتها، ربما لا نوافق الحكومة علي هذا الأمر، الحكومة عقدت هذا بناء علي اعتبارات وموازنات عندها.

* * *

الخطبة الثانية:

الحمد لله **(غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير)** وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له **(يسبح له ما في السماوات وما في الأرض له الحمد وله الملك وهو علي كل شيء قدير)** وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدا عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلي آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدي بسنته.

أما بعد:

صلاة أمريكية[1]:

فيا أيها الإخوة: في الجمعة الماضية حدثت حادثة من نوع آخر في أمريكا، وفي نيويورك. أمّت امرأة المسلمين رجالا ونساء. خطبت وأمّتهم لأول مرة في تاريخ المسلمين، نحن الآن في سنة ١٤٢٦ هـ أكثر من أربعة عشر قرنا، لم يعرف

(١) أصدر فضيلة الشيخ قبل أن تصلي هذه المرأة صلاة الجمعة هذه فتوي، أنكر فيها فضيلته إمامة المرأة للرجال الأجانب. وأوضح فيها علّة النهي، كما ندد الشيخ بهذه المرأة التي يراد من خلالها هدم الثوابت وزعزعة الأصول، بحجة المساواة بين الرجل والمرأة. وقد نشرت هذه الفتوي علي موقع فضيلة الشيخ (qaradawi.net) وموقع إسلام أون لاين.

في تاريخ الإسلام: أن امرأة صلت الجمعة بالمسلمين، حتي حينما اختيرت بعض النساء في مصر أو في الهند، أو في غيرها للولاية والإمارة؛ لم تؤم المسلمين، ولم تصل بهم، ولكننا في عصر العجائب، وعصر الغرائب.

رأينا امرأة تصلي بالمسلمين وفي أي مكان في الكنيسة حيث رفضتها المساجد الإسلامية جميعا، في شرق أمريكا وغربها، وشمالها وجنوبها، لم يسمح لها أي مسجد بأن تصلي الجمعة، فهي خرقت إجماع المسلمين في أمريكا، ولم يرحب بها إلا الكاتدرائية المسيحية في نيويورك، فصلت هناك والأمن حولها مدجج بالسلاح في كل مكان.

علة حرمان المرأة من إمامة الرجال:

هذه المرأة علي خلاف ما جاء به الإسلام، لأن صفوف الرجال في الأمام وصفوف النساء في الخلف والإسلام ليس عابثا في هذا الإسلام له حكمة، الأمر أن الله خلق المرأة علي جسم من شأنه الإثارة والفتنة. لحكمة يعلمها ونعلمها أيضا نحن، ولهذا نهي الإسلام المرأة أن تصلي أمام الرجل، بل كانت السيدة عائشة حينما تؤم النساء وأم سلمة، تصلي وسطهن لا تصلي أمامهن، حتي المرأة لا تريد أن تنزل بجسمها أمامها، فقد تقول المرأة: ما أحلاها، ما أعظم قوامها، الخواطر تثور. فما بالك بالرجل؟ الإسلام حين قال هذا كان واقعيا ولذلك لم يقل عالم مسلم في القديم أو في الحديث: أن المرأة تؤم الرجال في صلاة الجمعة.

هناك اختلاف في صلاة الجماعة المحدودة كما أذن النبي ﷺ لأم ورقة[1] أن تؤم أهل دارها، زوجها وأولادها وأحفادها، فكانت قارئة للقرآن، وهم لا يقرءون فأذن لها وجعل لها مؤذنا، يعني هي تصلي لكن المؤذن رجل، لكن الذي رأيته أن المؤذن امرأة حاسرة، ورأيت النساء يصلين حاسرات، وما رأيت في حياتي إلي

---

(١) حديث أم ورقة رواه أحمد في المسند (٢٧٢٨٢) وضعفه محققو المسند، وانظر تعليق فضيلة الشيخ على هذا الحديث في فتوى إمامة المرأة للرجال، في الجزء الرابع من فتاوى معاصرة (تحت الطبع).

الآن امرأة تصلي حاسرة، أي امرأة، أينما تكون، وحتي مهما كانت، حينما تريد أن تصلي تضع الطرحة أو الخمار أو أي شيء علي رأسها، وحتي في المدارس البنات حينما يردن قراءة القرآن، في المسجد نفس الشيء، احترنا لهؤلاء صلين حاسرات وصلين في صفوف الرجال، ورأيت بعيني هاتين: رجلا وعن يمينه امرأة، وعن يساره امرأة، وأمامه امرأة. أي صلاة هذه؟!

إنها أيها الإخوة صلاة مستوردة، كما أن هناك الهمبورجر الأمريكي، والكولا الأمريكية، والجينز الأمريكي، هناك الصلاة الأمريكية، هناك الإسلام الأمريكي الذي يراد أن يصدر إلينا. ولكن هذا الإسلام مرفوض مرفوض، حتي من أمة أمريكا، لم يكن من مطالب المرأة المسلمة في أي وقت من الأوقات، ولا في أي قطر من الأقطار، أن تفوز بالصلاة أمام الرجال، ما رأينا هذا.

المرأة تطلب أن تكون قاضية، أن تكون نائبة أن تكون كذا...، ونحن أجزنا هذا بشروطه وضوابطه أن تكون المرأة قاضية وأن تكون ممثلة في البرلمان، وأن تنتخب، وأن ترشح هذا[1]، وإنما أن تكون إمامة للرجال لم يقل به أحد. هذا الإسلام الأمريكاني الذي يريد أن يشوه صورة هذا الدين، وأن يحرف تعاليمه مرفوض من أمة الإسلام، مرفوض من علماء الإسلام، مرفوض من أفراد الإسلام، من المؤسسات الإسلامية، من الجامعات الإسلامية، مرفوض من الأمة كلها.

نحن نحاول أن نحافظ علي ثوابت ديننا، هناك ثوابت، وهناك متغيرات، هناك أشياء تقبل الاجتهاد وتقبل التجديد وتقبل التطور ولكن هناك أشياء لا يجوز أن يمسها أحد ولا يدخلها تطوير ولا تغيير، ولا يدخلها اجتهاد ولا تجديد هذا أمر من الثوابت.

---

(١) أجاز فضيلة الشيخ للمرأة أن تنتخب، وأن ترشح نفسها للمجالس النيابية، وأصدر الشيخ في ذلك فتوى بين فيها جواز ذلك، كما ذكر الشيخ كذلك رأي من سبقه من الفقهاء في جواز توليها القضاء فيما تجوز فيه شهادتها، وهو رأي أبي حنيفة، وفي الجنايات كذلك كما قال الطبري وابن حزم. (فتاوى معاصرة/ ح٢ ص٣٧٢) وما بعدها.

نسأل الله سبحانه وتعالي أن يحفظ علي هذه الأمة دينها، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ومن فوقنا ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم لا تكلنا إلي أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك، اللهم أيد إخوتنا المجاهدين في سبيلك حيثما كانوا، اللهم أيد إخوتنا في فلسطين، وفي العراق، وفي كل مكان، اللهم أيدهم بروح من لدنك، وأمدهم بملأٍ من عندك، وأحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم بكنفك الذي لا يضام، اللهم افتح لنا فتحا مبينا، واهدنا صراطا مستقيما، وانصرنا نصرا عزيزا، وأتم علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانثر علينا فضلك ورحمتك، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا علي القوم الكافرين، اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين، عباد الله يقول الله تبارك وتعالي: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٥٦] اللهم صل وسلم وبارك علي عبدك ورسولك محمد، وعلي آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلي يوم الدين.

وأقم الصلاة.

* * *